فالحوض هنا أجنبي من المناسبة لأنه ما يلائم المحصب والصفا وزمزم وإنما يناسب الصراط والميزان وما هو منوط بيوم القيامة .

ومثله في عدم المناسبة قول الكميت .

(وقد رأينا بها حوراء منعمة ... بيضا تكامل فيها الدل والشنب) .

فإنهم قالوا الدلال لا يناسب الشنب وهو صحيح فإن الشنب من لوازم الثغر فلو ذكر معه اللعس وما ناسب ذلك مشى على سنن المناسبة وخلص من النقد .

ويعجبني من ملاءمة التناسب في مراعاة النظير قول العلامة أبي بكر بن اللبانة في موشح .

(بعض يخاصمني في بعض ... جسمي مقيم وقلبي يمضي) .

(وكيف أسلو وبدري الأرضي ... يدير في الأقحوان الغض) .

(وردية سرقت أنفاسه بالالتماس ... رقت فكانت مثل دمعة في جفن كاس) .

أنظر إلى ما ناسب بين الأقحوان والورد وجذب القلوب وأنشا الأذواق في المناسبة بين الدمعة وجفن الكاس مع الاستعارة التي تستعار منها المحاسن .

ومن أحلى ما يستحلى في الذوق من هذا النوع قول ابن مطروح .

(لبسنا ثياب العناق ... مزررة بالقبل) .

ومن شدة إعجابي بهذا البيت ضمنته تضمينا لو سمعه ابن مطروح لاطرح نفسه خاضعا وسلم إلي مفاتيح بيته طائعا وهو .

(ولما خلعنا العذار ... فككنا طويق الخجل) .

(لبسنا ثياب العناق ... مزررة بالقبل) .

ولولا خوف الإطالة لتكلمت على بيت ابن مطروح وعلى التضمين وما فيهما من حسن التناسب والاستعارات بما يليق بمقامهما .

وغاية الغايات قول القاضي الفاضل في هذا الباب .

(في خده فخ لعطفة صدغه ... والخال حبته وقلبي الطائر)